من وحي زلزال الحوز

قصص قصيرة

جمع وتوضيب
عمر لوريكي

من وحي زلزال الحوز

قصص قصيرة

جمع وتوضيب عمر لوريكي

عنوان الكتاب: من وحي زلزال الحوز
الصنف: قصص قصيرة، أدب عربي

الترقيم الدولي: **9798338585757**

الناشر: موقع أمازون

المؤلف: جمع وتوضيب الأستاذ عمر لوريكي

سنة الطباعة: 2024

Code ISBN : 9798338585757

Marque éditoriale : Independently published

الطفل بلعيد ... يا بني أريدك أن تكون مهندسا يوما ما.

عمر لوريكي

ولد بلعيد بقرية تيزليش بإيجوكاك(نواحي مراكش)، له أخت واحدة وأبوه متزوج بامرأتين، يقضي أغلب أوقاته خارج المنزل، وبما أن يوم الجمعة 8 شتنبر 2023 يوم سوق فقد عزم على التأخّر، قليلا، حتّى قضاء جميع أغراضه...يلهو مرّة ويتناول الشّواء، ممازحا رفاقه، مرة أخرى...يتحدّثون عن موعد الدّخول المدرسي بفرحة وانتشاء ويمعنون في النّظر للدّفاتر والأدوات المدرسيّة، يتمنّون الحصول على الجديد منها واليسير حسب القدرة والتّكلفة.

رغم صعوبة المسالك بقريته، فبلعيد متفوّق في دراسته...دائما ما تمازحه أمّه يا بني أريدك أن تكون مهندسا، فيقبّل يديها النّاعمتين ورأسها ويردّ عليها نعم يا أمي يوما ما سأحقّق أمنيتك...فتضمّه وهي فخورة به أشدّ الفخر.

وفي تلك اللّيلة الصعبة، أي ليلة الزّلزال، كان لايزال في السّوق...لا يحسّ لا بالكلل ولا بالملل، كأنّه يوم عيد، فهذا اليوم وفي الغالب لا يشبه باقي الأيّام، يحسّ بضجيج النّاس وتوادّهم، ويستأنس بدفئهم، يستشعر حياة القرية بعد موتها وفراغها، كأنّه في قرارة نفسه لا يرغب في نهاية هذا اليوم...انتظرته أمّه حتّى السّاعة الحادية عشرة فلم يعد، فكّرت فيه كثيرا، راقبت الطّريق مرارا وتكرارا...فلما غلبها النّعاس خلدت إليه هي وأخته...لم تكن تدري أنّها لن تستفيق مرّة أخرى لتعانق بلعيد وتراه فيما بعد شابّا تام النضوج مهندسا كبيرا كما تمنّت...

وعلى حين غرّة من نومهما دوى انفجار قوي هدّ الجبل فسقطت جلّ المنازل الطّينيّة على النّاس، هوت الصّخور وارتطمت بكلّ ما تبقّى من المنازل.
ماتت أمّه وأخته كل من كان يُسعده في الحياة.

عاد بلعيد مُهرولا يسابق الرّيح للدوار، بعد زوال الزّلزال، كأنّه مكانٌ آخر؛ ينبش التراب ثم يصيح بأعلى صوته حتى ترتج له الجبال، كلا، كلا هذه ليست قريتي، لم يعثر على منزله...لم يعد يظهر له أي أثر...صار مجرد ركام فوقه حجارة

متناثرة وأتربة هوت من الجبل...الثلة التي بقيت من رجال الدوار أخبروا بلعيد أن لا أمل ببقاء أمّه وأخته على قيد الحياة، فهما الآن أســفل الصــخور الكبيرة بأمتار عميقة.

بعد ثلاثة أيام وصــلت فرق الإنقاذ، لأنّ الدّوار لا طريق تؤدّي إليه بســبب تضــاريســه الصــعبة...حينما وصــلوا للمكان انبعثت منه رائحة قوية تشــبه الموت، ورغم ذلك حاولت الفرق، بكل ما أوتيت من قوة وعزيمة، إزالة الصــخور والأتربة للعثور على آثار المنازل أســفلها...وبعد ســاعات من البحث والحفر تم انتشــال أمه وأخته طاهرتين وميتتين، لكن صدى أمه لازال بقلبه...يا بني أريدك أن تكون مهندسا يوما ما.

هكذا شعرت بالزلزال

عبد العالي بركات

يوم الجمعة 8 شـتنبر، كنت قد آويت إلى فراشـي حوالي التاسـعة ليلا. شـغلت المذياع الموضـوع على الطاولة بالقرب مني. كانت بي رغبة في الاسـتماع إلى برنامج حواري بالذات. كيفما كان هذا الحوار، في الفكر، في السياسة، في الاقتصاد، في الرياضة..

أخذت أدير زر المذياع بحثا عن ضالتي.

كل المحطات الإذاعية التي مررت بها في تلك الأثناء، كانت تذيع أغاني أو أحاديث تافهة يطغى عليها الضـحك الوقح، أو وصـلات إشـهارية. لم أحتمل ذلك. اسـتمررت أبحـث. مررت صـدفـة على محطـة دينيـة، لعلهـا المحطـة الوحيـدة المتخصصـة في هذا الشـأن التي تبث على الأمواج الوطنية، كان هناك برنامج حواري حول الأحاديث النبوية الصحيحة وغير الصحيحة. كان الأسـتاذ المتفقه يجيب على أسـئلة المسـتمعين مرددا عبارات بعينها: هذا حديث ضـعيف، هذا عليه العمل، هذا لا سند له...إلى آخره.

اسـتمررت أنصـت لبضـع دقائق، ثم أخذتني سـنة من النوم. لم تكن قد مرت أكثر من سـاعتين حين اسـتيقظت. ليس من عادتي أن أسـتيقظ في هذا الوقت المبكر من الليل.

كان السـرير الذي أنام عليه، يرتج بكيفية مسـتمرة وغير معهودة، لم أفكر في الزلزال لأول وهلـة، بـل اتجـه تفكيري في احتمـال تحرك شـيء ثقيـل في محيط العمارة التي أقطن بها، وهو الذي أدى إلى ارتجاج في السـرير الحديدي، سـيما وأنني أقطن في الطابق السفلي للعمارة.

أعدت النظر إلى ما حولي. أخذت أتفحص هذا الشـيء غير المألوف الذي يقع في عز الليل. كان الاهتزاز متواصـلا. تناهت إلى سـمعي في الآن نفسـه أصـوات الجيران وهم يهبطون السـلم الرخامي. كانت خطواتهم كثيفة على غير العادة في مثل

هذا الوقت من الليل. لم تكن أصواتهم تحمل أي إنذار من شأنه أن يؤكد لي على أن الأمر يتعلق فعلا بزلزال. فقط مجرد همهمات. لم أطمئن مع ذلك. ثمة شيء غير عادي. لا شك أن العمارة مهددة بالانهيار. في هذه اللحظة بالذات، فكرت في احتمالية الزلزال. سارعت إلى ارتداء لباسي وقصدت الباب المؤدي إلى الخارج.

صادفت جاري بدوره خارجا من شقته، سألته:

(واش هذا الزلزال؟)

كان فزعا، أجاب على الفور أن الاهتزاز كان قويا إلى حد أنه أدى إلى سقوط بعض القطع من الأثاث، وأنه الزلزال بلا شك.

خرج الجيران كلهم.

الزلزال هو الشيء الوحيد الذي يجعل الناس يخرجون من بيوتهم في آن واحد.

عروس موقوفة التنفيذ

عمر لوريكي

ترعرعت بأمزميز، بقرية إمي ايسلي، حتّى نالت شهادة البكالوريا. فرح أبوها أشدّ الفرح بتفوّقها الدّراسيّ، حين لمحت الإعلان الخاص بمباراة توظيف أساتذة التعليم الأولي اجتازتها على الفور، فنجحت واستفادت من التكوين ليتم تعيينها بقريتها التي نشأت بها، وبالضبط ب م.م انغد، فرعية إمي ايسلي.

اشتغلت سنتين فأحبّها كلّ من بالدّوار. كانت نِعم المعلمة، ترفق بتلاميذها وتهبهم جلّ وقتها ليتعلّموا الأبجدية والقراءة ويُقبلون عليها بشغف وحبّ.

في الأسبوع الأخير من غشت 2023 أسرّت لصديقتها أنّها ستزف عروسا عمّا قريب، فقد تقدّم لخطبتها شابّ متّزن وخلوق. وهكذا بدأت في الاستعدادات الأوّليّة: لائحة الضّيوف، قائمة الأكلات، يوم العرس وليلة الزفاف.

في تلك الليلة(الأخيرة من حياتها)، لم تنم في غرفتها المعتادة، بدون علّة ولا سبب لتهتدي إليه. وفجأة حدثت رجّة قويّة أسقطت منزلين بجوار بيتها، فسقط عليها وعلى أبيها جلّ الحجارة...كانت هذه الأخيرة ضخمة جدّا وصلبة، لا تتركُ أيّ أمل للنجاة!

مات أبوها على الفور، بينما بقيت هي تصيح بما تبقّى لها من نبرات صوت مبحوح، بعد إصابتها بكسور عميقة في جلّ جسدها...ظلّت تئنّ لوحدها في عذابات متناغمة مع الموت البطيء، تودّع هذا العالم رويدا رويدا، تتنفّس لحظات الانعتاق من الأرض إلى السّماء.

هرع بعض السّكان ممّن نجوا من الزّلزال لانتشالها فلم يستطيعوا، لأنّها كانت في عمق الرّدم...وبعد ساعة، حلّ الصّمت المرعب..!

لا مزيد من الأنين ولا الصياح...سقط الجميع مغشيا عليه، لأنّهم كانوا يحبّون المعلمة، العروس موقوفة التنفيذ، كثيرا، يعشقون سماع صوتها كل صباح وهي تلقن الأطفال القراءة والكتابة بكل شغف وعن حب وعطاء.

زفرة الأرض

ليلى الخمليشي

دخلتُ البيت بعد أصيل اليوم، كانت الشّمس الذّهبية قد أحكمت قبضتها لتغيب فوق لمعة البحر، أمّا عقلي فكان مشوشًا، ورجلاي أنهكهما المشي.

تخلّصتُ من معطفي ودلفت غرفة المعيشة لأعدّ كوبًا من القهوة. اعتدتُ كلّ مساء تعديل مِزاجي عند احتسائها، كلّما كنت قلقة ومضطربة.

أخرجتُ من صندوق المطبخ كأسا يليق بي ككلّ مرّة. تأبّطت روايتي وانزويتُ في منطقة هادئة داخل البيت، بعيدا عن غوغاء العائلة. لأستطيع الاحتفال بجانب روايتي وأسافر عبر سطورها وكلماتها.

اتّخذت من شرفة غرفتي طلة تطل على مساتير الأرض وأستطيع من خلالها مراقبة هلالي الأبيض وهو يمر، ومشاهدة نجمة – رجْوة – كما ذكرتها إحدى الروايات وهي تنبجس من عين السماء تشع وتبرق لي.

كان مساء هادئا، لكن داخلي به نغصة وحرقة يمررها لعابي إلى حلقي فتبدو مريرة أكثر. تجاهلت الأمر. ورحت أقلب صفحات الرواية صفحة صفحة، كانت تتحدث وقائعها حول حروب عاشتها أفغانستان آنذاك مع الأحزاب الشيوعية وحركة الطالبان التي عرفها المقاومون في تلك الفترة فعاشت – كابل- وباقي المدن حياة صعبة ومجحفة لا سيما على نسائها.

اندفعت بشدة نحو اكتشاف باقي الأحداث وتخشعت بين كلماتها وكانت معظم الوقائع تسبب لي قلقا هستيريا وآخر فرحا شديدا. حتى بلغتُ كلمة 'شقوق' فأحسست برعدة تحتي! والأرض تدغدغت عن مكانها تروح وتجيء وكأنني فوق أرجوحة. بدأت قشعريرة تتسلل إلى قلبي وارتجفت قليلا وقلت كأنها الآخرة تتكلم.

للحظة توقف هذا الاهتزاز، وما هي إلا لحظات حتى رأيت الجميع يجري ويهرع إلى الخارج مندهشين. خرجوا وأغلبهم عراة لا تسترهم إلا رقعة صغيرة من

الثوب. وضعت الرواية فوق الطاولة ونزلت الدرج وصلت إلى باب الزنقة وأنا ألهث، أسأل أمي؛ ماذا هناك ما لذي يقع؟

أخبرتني بفمها المفتوح ووجهها الشاحب اللون أن دبيبا خفيفا دبَّ، قبل قليل، من تحت الأرض، وزلزل مناطق بقربنا.

كنت أراقب دهشة الناس وملامحهم التي يصعد منها الخوف والهلع. فأطرقتُ في نفسي؛ ماذا لو كانت الدقائق الأخيرة؟ ماذا لو هدّت من فوقنا كل هذه الآثار، ترى الهروب يبقي النفخة الكبرى عن موعدها؟ عانقني أمي عناقا حارا كانت أختي إسراء تبكي بجانبي حاولت تهدئة روعتها، لكنها كانت تبكي وتصرخ. حضنتها وصعدت الشرفة لأبعدها عن الصخب. فبدأت تهدأ رويدا رويدا.

نامت في حضني وتناولت روايتي مجددا وعدت ألتهم ما تبقى من النهايات.

موعد مع الزلزال

عبدالإله ماهل

استوحش المكان وأهله، وخاف على نفسه أن ينسى نفسه، ويتيه وسط زحمة المدينة، ويطول به الغياب، وقد يدركه الموت وهو بعيد عن الديار، وينتابه الندم من حيث لا ينفع الندم.

وفي الجهة الأخرى أمّ تنتظر على أحر من جمر الغضا قدومه، والتملي بطلعته البهية؛ لعل فيه ما ينسيها فاجعتها في زوج، ذهب بلا رجعة، ضحية انهيار بداخل ذلك المنجم المهجور بأقصى الوادي، من دون أن ينال منه إلا القليل من فتيفتات معدن، ظل عالقا بالأتربة هناك، لتجد نفسها أرملة على صغر من أمرها، وحيدة مع صغيرها، وبدون سند تتكئ عليه، إلا ما تذر عليها أناملها من شغل أُسْوة بنسوة الحي، ينتج زرابي غاية في الإبداع، يربح منها، وعلى مضض، ثمنا بخسا، لا يكفي ثاني اثنين، اللهم النزر القليل، يسد رمق العيش ليس إلا .

حن إلى خبز أمه، ولم يسطع عليها صبرا، اغرورقت عيناه بالدموع وتراءت له في المنام، ماثلة أمامه والأسى يكاد يميتها قبل أوانها، تشير عليه بيديها الكريمتين؛ وكأنها تستودعه السلام لتتأهب لسفر طويل.

تقلب ذات اليمين وذات الشمال، واستعاذ بالمعوذتين؛ لعل النوم يطاوعه، ويذهب عنه شبح تلكم الكوابيس التي ما انفكت تؤرقه، ليبيت ليلته هاته سهرانا؛ يتطلع إلى صبيحة غد، يكون معها على موعد مع سفر طويل.

حط بأقرب محطة، ترجل من على سيارة أجرة، واستقل أول حافلة، وجهتها تلكم الجبال الشاهقة التي لا يرجى منها نفعا؛ اللهم ساكنة هناك لا ذنب لهم سوى أنهم الأصل، قدر عليهم أن ينبذوا بالعراء؛ ويتخذوا منها بيوتا من طين، تأويهم بعيدا بعيدا عن الأنظار، تاركين وراء ظهرانيهم أناس غرباء، من أماكن بعيدة...

انتصف النّهار واشتدّ حرّ الظّهيرة، وبدا السّراب جليّا للعيان، ولا شيء يعكّر مسار حافلة لا يؤتمن إلا على سائق دون سواه، يشق طريقه بثبات، تتخلله

بين الفينة والأخرى أصوات لركاب "السلامة يا مولانا" عند كل منعرج أو منعطف، لا تفصله عن الهاوية إلا حافة متآكلة أو صخرة على سبب.

أحس بثقل بجفنيه، أغمض عينيه واسند رأسه إلى الوراء، وذهب في غفوة من أمره؛ استحضر من خلالها يوم دفعت به أمّه في سن مبكرة على أول ساع إليها، يأخذه في عهدته بدكان محلبة هناك بالمدينة، مقابل أجرة تدفع عند مطلع كل سنة، وحسبها في قرارة نفسها أنها أدركت عينَ الصَّواب، بدل تركه من غير تمدرس ضائعا تائها بلا عمل.

أوشك الليل أن يرخي سدوله، ولحسن حظه لم يخلف السائق موعده مع نقطة الوصول، لتبدأ رحلته من جديد، يسلك من خلالها ممرات ضيقة، يختزل بها المسافات، يحث الخطو أنى تدركه الظلمة، وقد يفاجأ بخنزير جامح أو ذئب جائع.

لم يبق له ما يفصله عن بيت أمه إلا مسافة على حد النظر أو أقل، سرعان ما طواها طيّ الكتاب؛ ليجد نفسه بين أحضان أمه، فكانت حرارة اللقاء لا توصف، بكاء ونحيب، ودموع فرح لا تكاد تنقضي حتى تنهمر مرة أخرى مدرارا، ولم يحيدا عن بعضهما إلا بشق الأنفس.

تجمهر من حولهما هالة من الأهل والخلان، ولسان حالهم لا ينفك يردد "على السلامة"، ولم يتفرقوا عنهما إلا على طعام من صنيعة نسوة البلد، اجتمعوا عليه لملمة للشمل وإكراما لقدومه.

اختلى بأمه، وجرى حديث لم يخلُ من شجون، ما يكادا ينتهيا منه حتى يجدا نفسيهما على أول الطريق، وفي مخيلتها عشرات العذارى من بنات الحي، أبت إلا أن تسرهن إليه جملة وتفصيلا؛ لعل من بينهن ما تثير حفيظته، لتهنأ بها صاحبة لابنها قيد حياتها.

وفي لحظة اهتزت الأرض من تحت الأقدام، وسمع ذوي انفجار صاخب يصك الآذان، سرى من بين الثرى كالوحش الكاسر، سرعان ما تداعت له البنيان وخلف من ورائه الدمار والخراب.

ســـاعتها وكالعارف بخبايا المنطقة، أيقنت الأم المســـكينة أنه الزلزال لا محالة، ومن غير أن تدري ارتمت من على ابنها الذي يغط في ســـبات عميق، فكانت الضربة الأولى أولا على أم رأسها، لم تمهلها لهنيهة وأودت بها في الحين قتيلة.

ناداها من تحتها "أمي...أمي"؛ وكأن لا حياة لمن تنادي، ليجد نفســـه غارقا وسط الدماء والانقاض، تغمره من كل جانب، يتحسس أي ثقب ينفلت منه بجلدته من موت محقق.

تترنح ذات اليمين وذات الشـــمال، ولا من بصـــيص نور يهتدي به وســـط ظلمة حالكة تلف المكان، ليخلص في نهاية المطاف إلى أنه محتجز وبالكاد يتنفس.

وعلى غير غرة منه وجدت أياد بيض طريقا له، مدت إليه، وانتشـــلته من بين الأنقاض ليكتب له عمر جديد.

نفض عليه ما علق من غبار وأتربة، وبالكاد فتح عينيه، هاله هول ما حدث من دمار أتى على الحي بأكمله، أنســـاه فاجعته في أمه التي لم يهنأ بقربها إلا قليلا.

شمر على ذراعيه، وانخرط مع الأحياء لانتشال الأموات، ليبيت ليلته هاته مجندا في ســـبيل أبناء جلدته، يصـــارع الطبيعة، وينقذ ما يمكن إنقاذه إلى أن أتى عليه الصباح.

وبأعين باكية، وقلوب منفطرة، وإكراما للميت وجب التعجيل بدفنه. أقيمت صلاة الجنازة، وتوارت جثث الأموات بمقابر جماعية.

أخذ بعضه وأطل من أعلى الجبل، ولا طير يطير ولا وحش يسير، استدار على وجهة أخرى بمنحدر ســـحيق، وفي نيته عزم ألا يعود إلى هذا البلد، القابع على خط الزلزال، نسيا منسيا.

بقي وحيدا

عمر لوريكي

سعيد أفتاس، 17 سنة، من إحدى دواوير تيزي نتاست.

في تلك الليلة كانت أمه وإخوته في البيت يشـــاهدون التلفاز، هادئين لا يعتريهم أي خوف أو رعشة.

دخل المنزل ليطلب من أبيه مخدة وما إن خرج الأب يحملها له حتى سـقط المنزل برمته في ثوان معدودات واســتمرت الاهتزازات القوية وســقوط الحجارة على رؤوس أسرته وعليه...

مات الجميع وبقي هو وحيدا، لغاية هذه اللحظة لا يصـــدق ما حدث، ويبكي باستمرار...

زلزلات

خالد جبور

أتذكـــر يوم حدثتنا أستاذة الفلسفة عن أطفال الخيام اللاجئين في شتى بقاع العالم. أثارني الموضـوع كل الإثارة فأخذت أفكر في كل صـورة وكل فكرة تنطق بها أستاذتي.

علمتُ حينها أن هناك في قلب إفريقيا، وفي سـوريا وفلسـطين وفي كل بقاع العالم المكبوح تقدّمُه، أطفال في مثل سنّي محرومون من حقهم في جدران إسمنتية تقيهم البرد والحر وكل ما يتهدد أجسـادهم وكرامتهم. وكانت الأسـتاذة قد لاحظت انهمامي بالموضـوع، وانغماسـي في الأفكار، فنادتني آخر الحصـة، ودون أنْ تطيل الكلام، ناولتني مجموعة من القصص لكاتب يدعى غسّان كنفاني.

قالت لي بشكل مقتضب: << هذا الكـاتب صوّر اللاجئين، سكـان الخيام أبلغ تصويـر. طالعيه على مهل وبعد إنهائه قولي لي رأيك فيه.>> ولا أكذب إن قلت إنني قرأت كل القصص في ليلة واحدة.

كان اليوم جمعة. بدأت القراءة عند السـاعة السـابعة مسـاء. ولم أفطن للوقت إلا عند الواحدة صـباحا. تلك الشـخصـيات صـرت أراها كأنها معي، هنا، في بلدتنا، بلدة أسـني، في إقليم الحوز. تتردد في مخيلتي، فيما يشـبه اللازمة، جملةٌ هي عنوان قصـة من تلك القصـص وآخر جملة فيها: << إلى أنْ نعود.>> مرّت الأيام حتى حل يوم الجمعة في الأسبوع التالي. سألتني الأستاذة في بداية الحصة :

>> -سمّية، هل أتممتِ قراءة الكتاب؟ <<

>> -نعم، أستاذة<<.

>> -حدثينا عنه قليلا <<.

>>-في الحقيقة يصعب علي اختصار الكتاب في جمل، ويظهر لي عسيرا التعبير بالكلمات عمّا ترك في نفسي من انطباع. لكن جملة لا أدرِ لِمَ لا تفارقني منذ قرأت الكتاب، أستاذة <<.

>> -أي جملة يا سمية؟<<

>> -إلى أن نعود <<.

>> -ولِمَ هذه الجملة بالذات؟ <<

>> -هي جملة، في نظري، تلخّص نفسية وعقلية من جُرّد من مسكنه وأرضه تجريدا. يغدو العيش محالا إلا إذا استمات المرء وقاوم وجهد لكي يعود ويستعيد <<.

>> -جميل عزيزتي. هذه دعوة لأصدقائك وصديقاتك لقراءة الكتاب <<.

في مساء ذلك اليوم، كنا نياما، عندما سمعنا دويّ جلمود ضخم يتدحرج في سفح جبل فيدفع في طريقه ما يَعوق تقدّمه من صخور.

استيقظ أبي، وناداني: << سمية، سمية>> ونادى أمي: << فاطمة، يا فاطمة، أسمعتِ ما سمعتُ؟>> ما إن بدأت أمي الجواب حتى تزلزلت الأرض من جديد، وقفنا مندهشين، فدفعنا أبي يحث خطانا للخروج. خرجنا إلى الهو ثم تركنا المنزل وما فيه. سمعنا صياحا من كل جانب.

الظّاهر أنّ كلّ البيوت شهدت ما شهدناه. استمرّت الأرض في التحرّك، فصرنا نشعر بها قطعة ثلج انفصلت، فصار يحملها الماء. الأرض تتحرّك تحت أقدامنا، والصّراخ يتزايد، والهلع شيئا فشيئا يكبر ويكبر، حتّى استبدّ بالأفئدة. قال أبي إنّه الزّلزال. ودعا بالرحمة على من مات .

لم أفهم. كيف ذلك؟ ومن مات؟ سألت أبي فقال إنه المكتوب، وفي الصّباح سنعرف. عاد إلى البيت فوجده قد تهدّم. فراح يبحث وسط العتمة عن حبل الغسيل، إذ تذكّر أن أمّي كانت قد علقت فيه بعض الملاءات.

وجد اثنتين لم تجفّا بعد. ناول أمي واحدة وأعطاني الأخرى. جمعت أمّي الملاءتين ونادت أبي أنْ يقترب ليتغطّى اتّقاء البرد. كانت أمّي على يميني وأبي على اليسار. وكانت تلك اللّيلة أطول ليلة في حياتي .

صباح يوم السبت؛ أشرقت الشمس على عادتها متألقة لامعة، لكنّها، عوض أنْ تنير ربواتنا الجميلة وأشجارنا البهيّة، والوادي ومياهه العذبة، أظهرت خرابا، ويا له من خراب. كل البيوت تهدمت. صارت كومات حجر وتراب. كنت حزينة جدّا، وأرى الحزن في عيون أبي وأمي. صمت مريب عمّ المكان والقلوب. من الجليّ أن أبي كان محقّا: رحم الله من ماتوا .

أجول بنظري في الأرجاء فلا أرى إلا الخراب، والماء في الوادي مازال يجري بلا انقطاع، والعصافير تزقزق في الأشجار. نحن لم نصب بمكروه لكن بيتنا الحبيب هُدم عن آخره، فلم يعد لنا مأوى. سألتْ أمي أبي ما العمل، فقال إن السلطات ستأتي لا محالة قريبا لنجدتنا. الصبر الصبر إلى أن تأتي النجدة. وفعلا، جاء أبناء دوار مجاور عصر يوم السبت. سألوا أبي إن كان أحدهم تحت الركام فأجاب بلا. وسرنا معهم إلى أن بلغنا الطريق المؤدّي إلى مراكش .

كان هناك الكثير من الأسر وبكاء وعويل ورهبة تأخذ الأفئدة. تجمّع الناس مجموعات وأخذوا يبنون، كيفما اتفق، أشياء تشبه الخيام. هذا مسكننا الجديد. بُنِيَت الخيام، ولكن أحدا لم يدخلها كأنّ قوّة خفية تدفع الجميع لتأمّل الخراب، والتّفكير فيما تحت الخراب: أقارب وحاجيات وذكريات .

قضينا اللّيلة هناك. لم ينم أحد، فقد زلزلت الأرض مجدّدا وذكرت النّاس بالخطر القائم الدّاهم. قضينا اللّيلة كلّها في الحديث وإحصاء الضّحايا.

وفي صباح يوم الأحد، كم كانت دهشتنا كبيرة ونحن نسمع أصوات أبواق سيارات كثيرة. خطّ لا متناهٍ من السّيّارات. توقّفت قرب المخيم وراح النّاس يخرجون منها، في أعينهم حزن، لكن يظهر من حركاتهم أنّهم متحمّسون. ساروا يوزّعون الأغطية والمأكولات وغيرها من الإعانات التي جمعوها في مراكش وغيرها من المدن. الإنسانية في أبهى حللها حلّت عندنا في الحوز. تجلّت تضامنا وتآزرا وتعاضدا يُنسي المكلومين ألمهم ويذكّرهم أنهم ليسوا وحدهم .

تذكرت أستاذتي والمدرسة والكتاب، وجلت بنظري في الأرجاء، ولا أدري كيف أفلتت من شفتيّ جملة " إلى أنْ نعود".

زلزالُ درجةٍ ضعيفة

حفصاء عمراوي

سافرتُ صباحاً لحضور حفلِ زواج صديقتي، الذي ستبدأ مراسمه اليوم مساءً، وكي أصل في الوقتِ المُحدّد استيقظتُ باكراً، ولحسن حظّي كان عمّي مسافراً برفقةِ زوجته وجدّتي وعمّتي، لهذا تنفّستُ الصّعداء، فالمسافة الأصعب والأطولُ لن أضطرّ إلى اجتيازها بالحافلةِ، التي تتأخّرّ وتتوقّف بين كلّ دقيقة وأخرى، لكنّ هذا لا يعني أنّني لن أجد صعوبات في السّفر؛ فقد كدت أستفرغُ أحشائي، وبالنّسبة لشخص يُعاني من دوّار السّيارة فلا يجبُ عليهِ أن يسافر بمعدة فارغة، لأنّها لن تجدَ شيئاً لتلفظه للخارج ممّا يزيدُ تعبَ الأمعاءِ وصعوبة التنفّس، أعترف بأنّي أتمنّى الموت فقط حينما أكون مسافرةً على طريق المنعرجات هذا، بدرامية فائقة تتوقّف السّيارة لأنزل منها وأقول في نفسي:

- يا إلهي، خذ روحي، لم أعد أستطيع التحمّل أكثر!

ثمّ بعدها أواصل، كأنّني لم أتمنّ الزّوالَ قبلَ قليلٍ. نفطرُ معاً، ثمّ تنتهي رحلتي معهم بعدما أوصلوني لبيتِ صديقتي التي سأسافر معها، أصل إليها وننتظر صديقتنا الأخرى، لقد كنت جاهزةً بلا أيّة متطلّبات، على عكسهما، كان عليّ انتظار الأولى كي تصفّف شعرها، وأنتظر الثّانية لتفعل نفس الشّيء، ثمّ أنتظرهما للانتهاء من طلاء أظافرهما، إنّ الانتظارَ صعبٌ، خصوصاً وأنّ أمامنا وقتاً أطولَ لنصلَ، غير أنّ العروسَ أيضاً أنثى، وامرأة مثلنا، ولو أنّنا جميعاً أخذنا المواعيد بدقّة لما حضرنا، فقد كان علينا أن نكون في بيتِ عروسنا على السّاعة الثالثة مساءً، لأنّ حفلة الحنّاء ستبدأ حينها؛ لكنّنا لم نصل حتّى الخامسة مساءً، ومع ذلك لم نجدهم قد بدأوا بعد!

ارتدينا فساتيننا، أو ما نسمّيه بـ "القفطان"، وجلسنا ننتظر، وبعدَ ساعة بدأنا، ضحكنا، رقصنا، فرحنا.. كانت لحظات تمّ اقتناصُ فرحها من عالمٍ لا يتوانى

عن سـحقنا، ولأنّ الحفلَ كان عائليّاً، فلم تكن هناك نسـاءٌ كُثُر ما مكّننا من أن نستمتع بجوار بعضنا ونستمع لبعضنا البعض.

وفي الليلِ، بعدما توقّف الدّفُّ، كنت واقفةً وإذ بالأرض تهتزّ من أسـفلي، والجدران تتحرّكُ يميناً وشمالاً، رفعتُ رأسي للسّقف وكأنّي أنتظرُ سقوطه من غير أن أجزعَ أو أهربَ، فلم يهرب أحدٌ، فتوقّفت الحركةُ بعد ثوانٍ، وعادت الأرض لمكانها، لم نفهم ما الذي حصـل؟ لكنّهم أخبرونا بأنّ هذه المدينة تتعرّض لبعض الهزّات المشابهة لهذا لا داعي للجزعِ، فأتمننا سهرتنا وكأن لا شيء حصلَ.

في صباحِ اليوم المُوالي، استيقظنا ونحنُ نجرّ تعبنا، بالكادِ استطعتُ فتحَ عينيّ، وكانت مصيبتي الكبيرة تتمثّل في اختيار فستان آخر للحفلة التي ستقام بعد الظّهرِ، فرافقتني صـديقتايَ، بعد تناولنا للفطور، لنبحث عن شـيء مناسـب، وجميل.

وبعد ساعة أو ساعة ونصف عدنا للبيتِ محمّلاتٍ بالفستانِ، ومباشرةً بدأنا التحضـيراتِ، كان البيتُ مُكوّناً من طابقينِ علويينِ، وكانت تلك المسـاحة الصّـغيرة ناجحة في تشـتيتِ انتباهنا عمّا يدورُ في الخارجِ، لم نفتح الهواتف ولم نعرف ما الذي حصـلَ حتّى؟ كما لم نكلّم أحداً.. اللهم من بعض الاتصـالات اللّيلية التي تفَقّدنا فيها أهلنا وتفقّدناهم، ولا شيء آخر!

كانَ العرس في قاعة أفراح خارج المدينةِ، نُقلنا إلى هُناكَ جماعةً، وكان موكبنا آخر من يغلق البيتَ بعدهُ، ولم نعد إليهِ حتّى الساعة التاسعةِ مساءً، ولأنّ عمّتي تقطنُ في نفس المدينة ذهبنا لنقضـيَ الليلة معها، عندئذ فقط ذُهلنا لهولِ ما حدث، قلت في نفسي -والصّدمة أطبقَت شفتايَ:-

- أحقّاً قد احتفلنا والمغربُ قد انقلبَ؟

قضينا الليلةَ بُكاءً وحُزنا، كما أسعدتنا المبادرات التي قامَ بها المغاربة داخل أو خارج الوطنِ، شـعرتُ بعزاء من هذا الفعلِ، ففي الوقتِ الذي كنّا فيهِ خارج التغطية كان هناكَ آخرون لبّوا النّداء نيابةً عنّا جميعاً، من دون أن ينتظروا تدخّل الهيئات المختصّـة، لم نتأذّ، لأنّ البؤرة كانت بعيدة للغايةِ، لكنّهم سُحقوا في زلزالِ ثوانٍ، ما

آلمني ممّا حدثَ هو الأشخاص المتضرّرينَ، لقد قاسوا بما فيهِ الكفاية، فلمَ كُتِبَ عليهم أن يُقاسوا أكثر ممّا تجرّعوهُ سابقاً؟ أفي هذا حكمةٌ ما؟ طبعاً توجدُ، وإن غابت عنّي.. بهذا واسيتُ نفسي.

قبل الذي حصلَ، وبعد رؤية المشاهد المسجّلة، علمتُ أنّ للموتِ إخوة وله مرادفاتٌ كثر، فالزّلزالُ أخ ومرادفُ الموتِ، بل إنّه النّسخة المرعبة منهُ، ذكّرني بأهوال يوم القيامة مع أنّني لم أشهدها، فأن تبتلعك الأرض أو تتحرّك قليلاً ليس بالأمرِ الهيّنِ، تُهَدّ الجبالُ في ثوانٍ، ويُقضى على البشريّة في ثوانٍ، سبحانك ربّنا، إنّها آياتكَ التي لا نكذّبها، وجبروتكَ الذي لا نقدرُ عليهِ؛ فرحمتك!

أتساءل: لو أنّي قضيتُ نحبيَ لحظتها، بماذا سأشعرُ؟ آنذاك لم أشعر برغبتي في تحريكِ ساكن، أعتقد بأنّي سأستقبل الموتَ باستسلام بالغ، لن أحرّك ساكناً، لكنّي أعرفُ روحي، ستقاومُ، هكذا أشعرُ! فبالرّغم من خمود حواسّي، وكسلِ قلبي؛ إلّا أنّي أملكُ روحاً تتشبّث بالحياةِ ولن تتركَ مصيري ينتهي عند الأنقاض اللهم إن حانت السّاعة، وطّلّ الأجلُ، وكانَ ذاك: وقت الوداعِ، والسّفر إلى الدّيّار الأخرى. حينما أعودُ للوراءِ قليلاً، لأشاهد المشهدَ من بعيد أرى فيهِ تقلّبَ الحالِ، ففي العالم بأكمله كوارث، هذا شعب يضحك، وآخر يبكي، هنا آلامٌ، وهنا أفراح، هنا موتٌ، وهنا حياة، بالمتناقضاتِ تستمرّ الحياة، لم أستطع أن أضحكَ إلّا بعد وقت مقبول، لقد حزنتُ عليهم، لكنّي لا أحبّ الأحزانَ، وأطردها بعيداً عنّي، أقولُ لها:

- أيّتها الأحزان، ودّعينا قليلاً، لم يبقَ في العمرِ متّسع إلّا للفرحِ، فما لكِ تأتينني كلّ مرّة بحلّة جديدة؟

أيمكن للخرابِ أن يُعمَّرَ؟ لستُ أدري.. فالأمرُ ليس من اختصاصيَ، ولا أعرفُ طرقَ التّعميرِ ولا قوانينه ولا أفقهُ شيئاً في ميزانياته، لكلّ تخصّص أهله، والأكيد أنّني لستُ أهله! سيكبُر الذين تيتّموا، وستُطوى الصّفحة، سننسى لكنّهم لن يفعلوا! لكن، أليس كلّ هذا جزءاً من كوننا نعيشُ وعلينا المضي قُدماً؟ على أيّ؛ لا أريد اختبارَ شعور كهذا، فكلّما حاولتُ أن أصيرَ طباقاً لهُ ينتهي بي الأمرُ منزوية أشهقُ

وأبكي بغيرِ توقّفٍ.. فعسى أن يُلهموا الكثير من الصّبر وأن يُفرَّغ على قلوبهم كشلّالٍ يتدفّق، مثلما تدفّقت المياهُ من وسط الجبالِ القاحلة التي زارها الزلزالُ!

ما عشتُهُ: زلزالُ درجة ضعيفة، ما عاشوه: أهوالُ زلزالٍ، ما عشناهُ: آلامُ شعبٍ زلزلهُ الزّلزالُ، لكنّ المستقبل لا أحد من الأطراف الثّلاثة يعرفه، لا أنا ولا هم ولا نحنُ، كلّ ما نتمنّاهُ هو أن يعيشَ النّاس على الجبالِ بكرامة وتوفّر لهم جميعُ سبل العيش الكريمة، فإن اتّضحت للعالمِ صورة عنهم فإنّها تتلخّص في كونهم شعباً منّا، غير أنّه يعيشُ ببساطة عنّا، وبظروف بدائية مُتعِبة، وكثيرٍ من الرّضا الذي يغمرُ قلوبهم المؤمنةَ.

عُدنا لبيوتنا سالماتٍ، وذهبت العروس لشهرِ عسلها، الجميع استمرّ في حياتهِ، والمخاوفُ تقذفنا من سيّء لأسوأ؛ فلن نسلم أبداً من عيش موقف مماثل، فحتّى هم لم يتخيّلوا عيشهُ، لكنّ التّاريخ يعرفُ ما الذي يفعلهُ، فكانط يؤكّد هذا، إذ لا عبثيّة في التّاريخ، لكن: هل سنتعلّمّ؟ هل سنتغيّر؟ هذا هو السّؤال المطروحُ.

زلزال

هشام أجران

لا أعرفُ إن كان الأمر مجرد مصادفة أم هو نوع من البصيرة التي يمنحها الله لعباده الصالحين فيتوقعون القادم من الأحداث...

ما أذكره أن الإمام في صلاة الجمعة والتي توافق الثامن من سبتمبر، قرأ بصوته الجهوري سورة الزلزلة، وأكاد أجزم ان لا أحد في رحاب المسجد العامر بالمصلين كان يتوقع أن تتحول الآيات الكريمة إلى حقيقة وواقع بعد ساعات...

مرت فترة ما بعد الزوال بالروتين المعتاد، وحلّ المساء محملا ببعض النسمات التي بددت شيئا من حرارة شمس النهار... التحقت بالبيت بعد انتهاء فترة الدوام، وانشغلت بمتابعة برامج التلفاز حينا، والاطلاع على صفحات التواصل الاجتماعي حينا آخر، تتلقّفني أخبار الفضائح لترمي بي نحو فيديوهات التفاهة والميوعة وتعيدني إلى مآسي الناس ومعاناتهم... لا شيء ينشر الأمل والتفاؤل هناك، وحدها المظاهر الخادعة وتوحش العالم ما يسيطران... مرّت السّاعات سريعة أو خيل إلي، ما زلت مستلقيا على أريكة أتابع برنامجا تلفزيا وأقاوم رغبة ملحة في النوم... يتقدم ابني، ذو العاشرة ربيعا، ليجلس بقربي، ويهم بتناول عشائه في ساعة متأخرة...

"-لا مدرسة في الغد، لذا يمكن التغاضي عن هذا التجاوز..." هذا ما قرأته في نظراته .

طلبتُ منه أن يتناول طعامه ثم يلتحق بغرفته للنوم... في اللّحظة الّتي مدّ يده نحو الطبق، اهتزّ شيء ما تحتي ... لوهلة ظننت أنّ أشخاصا يركضون باندفاع وتهوّر في أرجاء العمارة، لكن نظرات ابني الملتاعة جعلتني أنتفضُ من مكاني وأقف محاولا فهم ما يجري... زادت حدّة الصّوت، فكأنّها طلقات رصاص تنهال على المكان، وبدأت الأرضُ تهتزّ، ومعها قلوبنا... هرعت زوجتي من إحدى الغرف وقد اكتسى

محياها بشحوب مخيف، بينما تعالت صرخات ابني لتشق الأرجاء... أغلقتُ النّوافذ معتقدا أنّ الأمر يتعلّق بعاصفة ترابية شديدة، فلم يسبق لي أن عايشت زلزالا ولم أتخيّل أنّني سأعايشه يوما... في خضم الخوف والهلع والارتباك والحيرة... ضممت ابني وزوجتي وجلسنا على الأرض نكبر ونردد الشهادة... هل هي شجاعة منقطعة النّظير؟ هل هو تباث مَنَّ به الله علينا؟ أم هو الخوف كبل أجسادنا ومنعنا من الهرب كرد فعل طبيعي؟

توقّفت الهزّة واختفى الصّوت المروّع، لنغادر بعدها البيت، والصّدمة تعلو الوجوه... في الخارج، كان المشهد أبلغ من أي وصف... كلّ البيوت مشرعة، بينما تفرّق النّساء وَالرّجال والأطفال في أرجاء الحارة وخارجها، وعلى الألسن تتردّد العبارات ذاتها:

- زلزال... زلزال... اللهم الطف بنا...!!

دعوات مسموعة وأخرى حبيسة الأفئدة والنّفوس...وجوه حائرة لم تتخلّص بعد من شحوب الهلع والخوف...هواجس تسيطر على العقل وتدفعك لتوقع الأسوأ... أفواج من البشر تقطع الشّارع في حركة ذهاب وإياب لا تنتهي، بعدما فقد النّاس بوصلة الزمان والمكان... وأصابع تحرّك شاشات الهواتف لتجري اتصالات مستعجلة تطمئن بها على الأحبة والأهل والأقارب، وتصطدم بغياب التغطية لترتجف القلوب أكثر...

الجميع يسأل عن مدينة (أكادير)، فالهزّة القوية التي شعرنا بها ونحن على بعد أربعين كيلومترا من مدينة الشّمس والبحر، أعادت إلى الأذهان قصّة الزلزال المدمّر لسنة 1960، وبتنا شبه متأكّدين من أنّ التّاريخ أعاد نفسه بقسوة أكبر ودمار أوسع..... اتّضحت الصّورة بعد دقائق من التّرقّب والتّوجّس، (أكادير) لم تصب بسوء، لكن جزءا غاليا من هذا الوطن أصيب في مقتل...

تحدث أحدهم عن هزّات ارتدادية محتملة، وأفتى آخر بضرورة التّوجّه نحو السّاحة الكبرى، وهو ما قمنا به، لنجد مشهدا آخر لا يقل مأساوية عن كلّ المشاهد السابقة...

فكأنّها صـورة مصـغّرة ليوم الحشـر...حشـود من البشـر تفترش الأرض في انتظار ما سيحدث...

خوف... توتر... هلع... شـحوب... وألسـنة تلهج بالدعاء والذكر...بجانبي جلس رجل طاعن في السـن، رنا ببصـره نحو السـماء التي هجرتها النجوم وافتقدت للقمر، وردد بصوت مسموع وبحكمة علمتها إياه تجارب الحياة:

"حين نشعر بضعفنا نلوذ بلطف الله عز وجل ورحمته، وحين نرفل في النعم نتناسى الشكر ونطمع في ملذات الدنيا... أطيعوا الله واعبدوه في الرخاء، تجدوه في الشدة... لا حول ولا قوة إلا بالله."...

في أحضان العمارة المرتعدة ليلة الزلزال

نور الدين أيت وشن

تعتبر هذه الكلمات والعبارات الواردة في هذا النص نوعا من السرد لمعظم المحطات واللحظات التي عشتها ليلة الزلزال بأحواز مراكش في اليوم الثامن من شهر شتنبر 2023، وأنا متواجد بهذه الأخيرة (مدينة مراكش)، كشخص ينتمي للطبقة الفقيرة داخل المجتمع المغربي وممارس لمهنة التدريس، كما هي سرد لكل التفاصيل والتساؤلات التي حضرت إلى ذهني في تلك اللحظة الفارقة في حياتي وفي حياة الشعب المغربي ككل، على اعتبار أننا ولأول مرة نعيش حدوث هذه الظاهرة أو الكارثة الطبيعية في جيلنا الحالي (الحديث عن مدينة مراكش وأحوازها) رغم أن المغرب عرف هزات زلزالية من قبل في كل من أكادير والحسيمة ...، فهي إذا محاولة بسيطة لرصد وتحويل الخطاب الوارد في دواخلي أثناء الهزة الزلزالية بكل تفاصيله التي يصعب نسيانها إلى نص مكتوب.

- أثناء وبعد الهزة:

في الحقيقة نحن كبشر ضعفاء لدرجة كبيرة جدا، قد نكون أقوياء لدرجة الإحساس بنوع من الغرور والثقة في النفس بشكل غير عادي وفائق للخيال، ولكن بمجرد وقوع حدث فجائي يتغير كل شيء ونصبح ضعفاء لدرجة كبيرة جدا عكس كما كنا أقوياء في سابق الأيام، كما تتغير نظرتنا إلى تلك القوة التي نتفاخر بها أحيانا، ولعل ما يؤكد ذلك هو حدوث كوارث طبيعية وبيئية خطيرة للغاية كالبراكين والزلازل والفيضانات وغيرها من الكوارث.

تخيل أنني لم أفكر ولو للحظة في الحركات التكتونية أو الصفائح التكتونية التي ظللت أدرسها في الفصل للمتعلمين والمتعلمات، هذه الصفائح التي لا أحد منا يعلم متى قد تتحرك أو تصطدم بالتحديد، فهي خطر مستمر ومهدد لنا كبشر، وجب علينا من خلاله العيش والاستمرار حتى تأتي لحظة الوفاة، لذلك تبقى ليلة الثامنة من شهر شتنبر من العام الحالي 2023م ليلة خالدة في عقولنا وأذهاننا

جميعا كمغاربة. لكونها كادت تنهي حياتنا، أو على الأقل نسبة كبيرة منا، التي قد أكون ضمنها أو العكس.

وقد يستغرب البعض عندما يراني أتحدّث عن القوّة والضّعف هنا وفي هذا الوقت بالضّبط، ولكن صدّقوني إن قلت إنني في حيرة، ولأول مرة أحسست بهلع وخوف شديدين في حياتي، لدرجة أنّني آخر من غادر العمارة التي أقطنها لشدّة الصّدمة والذّهول، ممّا يقع في تلك الليلة المرعبة، ولعدم التعود على الزّلازل في هذه المدينة التي يقال لها الحمراء والمعروفة ببهجتها وأناسها الذين لا يفوتون فرص البهجة والفرح، أينما كانوا وفي كل الأوقات، كيف لها وهي الّتي بناها القائد التّاريخي المغربي، السّلطان يوسف بن تاشفين.

ليلة الزلزال كانت صعبة لأقصى درجة ممكنة، لأنّها خلّفت أضرارا جسيمة، خلقت غمرة من الأحزان والخوف والهلع، بل جسدت أضرارا كثيرة؛ ليست تلك الأضرار المتعلقة بالبنايات والموتى فقط، بقدر ما هي أضرار كثيرة ومنها تلك المتعلقة بنفسيتي كشخص وكإنسان ضعيف وبسيط ينتمي إلى الطبقة الكادحة في العمق المغربي إن صح التعبير؛ وكذلك كشخص تزعزعه الظروف المعيشية الصعبة والمستقبل الغامض والمجهول طبعا، وأيضا لكون هذه اللّحظة شكّلت نقطة تحوّل في نمط عيش مجموعة بشرية ونمط سكن هؤلاء، وكذا نمط تفكيرهم كشعب ككلّ وليست كمناطق ضربها الزلزال فقط. لم يسبق لي أن وضعت لقمة في فمي وفي نفس الوقت أفكر في محيطي ومسامعي أصداء هذا المحيط، حتّى ضرب الزّلزال الّذي جعلني أتناول الوجبات وكلّ خوف وهلع ومترقب للأصوات الخارجية، بل حتّى الدّرّاجات النّارية لم أعد أتحمّل تواجدها بالحيّ الّذي أسكنه. بل شكلت هذه الضربة نقطة تحول في مواعيد الوجبات.

فمع ضربة الزلزال انتقل معظم سكان الحي من النوم في المنازل والأفرشة المريحة إلى افتراش الأرض أحيانا، أو افتراش أفرشة عادية في أزقة وشوارع الحي الشعبي، بل وصل بنا الأمر إلى النوم في الأزقة والشوارع منذ ليلة الزلزال إلى أيام الأسبوع نفسه، ولأوّل مرّة أرى النّاس لم تعد تفكر في الأثاث المنزلي أو ممتلكاتها، بل

تركت كل شيء وغادرت على وجه السّرعة. وهي إشارة على أن لا شيء أهمّ من النّجاة بالرّوح عكس الجوانب المادية الأخرى.

صدقوني إن قلت إنني ليلة الزلزال؛ والنّاس في الخارج كنت أنا مركون في بيتي أتشهد بنوع من الهلع والخوف الشديدين، أتشهد لأوّل مرة بطريقة أقل ما يمكنني أن أقوله عنها هو أنها هيستيرية؛ في انتظار فهم واستيعاب ما وقع في الحقيقة، أدركت أخيرا بعد نهاية تلك الثلاثين ثانية أو الأربعين من الهزة، أنه زلزال، وأدركت بعدها أيضا أن عليا مغادرة العمارة بسرعة فائقة في وقت كنت فيه أقرب من أن أكون تحت الأنقاض، لكن شاءت الأقدار أن أعيش لحظة جديدة وفترة أخرى من حياتي وعمر جديد. بل زاد من صدمتي بعدي عن المنزل العائلي، لأنّ تلك الظّروف الصّعبة تحتاج إلى الحنان والتعاطف العائلي وكذا الاطمئنان عليهم، خاصّة عندما أستحضر كيف أفترق أنا والأم الغالية والأب العظيم عندما أريد أن أسافر إلى المدينة الحمراء.

أستحضر دعاء واحدا في تلك اللحظة لأنجو بنفسي، وتناسيت الأدعية الكثيرة التي قد تجعل هذا العبد الضعيف ينجو من الكارثة وينقد نفسه، وراكمت كثيرا الشهادة باعتبارها قد تكون سبيلي للفلاح والخلاص، لأنني في تلك اللحظة تأكدت أنها نهايتي التي لا يعلمها أحد إلا الله بالفعل، لم أكن أعلم بخصوص الدعاء هل هو فعلا نسيان أم صدمة حركت كياني الداخلي على أساس أنني مغادر لهذا العالم الغريب، وأكثرت من التشهد فقط، وأخيرا دعوت الله اللطف والتخفيف، وأكثرت من التشهد بعد الخروج من العمارة ورددت كثيرا دعاء "اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ، أمين".

استغربت كثيرا من نفسي لأنّني لم أدعُ لنفسي بالنجاة بقدر كبير، حيث ركزت على الشهادة، وكأن شيئا ما بداخلي يقول لي إنها النهاية، وكأن شيئا ما يقول سارع للشهادة فهذه نهاية لا محالة، وهي النهاية التي قد تأتي بعد صراع طويل وكفاح مستمر للخروج بنتيجة إيجابية من المدينة الحمراء، فالاغتراب لابد أن يفضي إلى نتيجة جيدة، بل أكثر من ذلك ترضي الله والوالدين، لأنّهم الحلقة الأهم في حياتنا.

فكّرت كثيرا ولحدود الساعة مازلت أفكّر كيف سيكون مصيري صباح اليوم الموالي ليوم الهزة الزلزالية؛ لو كانت درجة تلك الهزة التي وقعت ليلة الثامن من شهر شتنبر من هذه السنة أكبر مما هي عليه أو لو بقيت لدقائق أخرى داخل البيت.

سيناريوهات كثيرة وعديدة حاضرة في ذهني تلك اللحظة جعلتني أعيش كابوسا داخليا لأيام كثيرة بعد الحادثة، وأعيد ترتيب أوراقي في حياتي وعيشي وعملي، بالأحرى إعادة إحياء جوانب عدة من مخيلتي وما بدواخلي، أو على الأقل القول إنني سأعيد ترتيب كل شيء في حياتي، والحقيقة أنني لم أكن متأكدا من كوني سأغير شيئا فعلا في حياتي، هل كانت تلك فكرة ما بعد الصدمة أم أنها فعلا خطوة لإعادة التنظيم والترتيب.

إن أول ما قمت به عند مغادرتي للعمارة، حاولت مباشرة الاتصال بأمي الغالية وأختي الحبيبة مرات ومرات كثيرة، وفي تلك اللحظة بالذات لم أنجح في الوصول إلى الخط، نظرا لانقطاع الصبيب بفعل تلك الهزة الزلزالية، وتحسرت على نفسي أنني لم أكن بجانبهن في تلك اللحظات الحرجة، حاولت الاتصال كذلك بأبي بنفس الدرجة لمرات ومرات، وتذكرت أخيرا أن هاتف أبي واجهه عطل بسبب سقوطه من فوق الطاولة بالعاصمة الاقتصادية، وفي الخطوة الثالثة اتصلت بإخوتي في العاصمة الاقتصادية للاطمئنان عليهم أولا والتوجه إلى بيت الأب الغالي للاطمئنان على حاله، رغم أن الدار البيضاء لم تعرف هزة زلزالية بنفس قوة زلزال حوز مراكش، لكن صدقا كانت تلك الهزة بمثابة هزة للمغرب ككل.

بعدما اطمأن خاطري تجاه أفراد العائلة، تواصلت مع أفراد من العائلي الكبيرة كذلك للاطمئنان عليهم، وكانت كل الأخبار تتقاطر عليّ أن العائلة بخير رغم بعض الأضرار المادية التي تبدو بسيطة بالمقارنة مع أضرار أحواز مراكش، وبالرغم من طبيعة المعمار في الجنوب الشرقي الذي يعتمد بدوره على البناء بالطين في غالب الأحيان. لكن يبقى الطوب واللوح هو الأصل هناك. تواصلت مع مجموعة من الأصدقاء، أولهم صديقي المقرب طبعا، الذي لا ينسى الاطمئنان علي كذاك في كل وقت وحين وفي كل الظروف والحيثيات، تواصلت مع أصدقاء الدراسة الثانوية

والجامعية والأساتذة الأصدقاء، الذين يشتغلون بأحواز مراكش وغيرها من المناطق. فالوفاء للصداقة هنا يظهر ويستحضر بشكل كبير.

حزين للشهداء الذين تعرضوا للهزة بأحواز مراكش ولكل من وافته المنية في هذا الحادث المأساوي، متأسف لمن تضرر بشكل من الأشكال ومتخوف وسعيد أحيانا بخصوص مصير البلاد والعباد، لأن الظرفية لا ترتبط بهزة عابرة، بقدر ما هي هزات ستحرك مؤسسات الدولة وميزانياتها لتحريك عجلة التنمية في المناطق التي ضربها الزلزال كما ستقوم ببناء المرافق والبنيات السكنية بطرق أكثر تماسكا وأكثر راحة ربما، رغم أنها ستغير من نمط تقليدي متماسك وعريق أكثر من البنايات في حد ذاتها، وستحرك الساكنة الجبلية من موقعها وقد يتغير موقعها للأبد.

فالحزن بالنسبة لي لا يظهر عليّ بالبكاء الهيستيري أو شيء من هذا القبيل، لكن الحزن ظل دائما بالنسبة لي حزن داخلي ظاهر على محياي، فهذا طبعي ومشاعري دائما، بل حتى في مسألة الوفاة في العائلة أو الأقرباء، فمشاعري الحزينة لا تظهر بشكل مباشر وبالبكاء، وهذا يعتبر سؤالا فلسفيا بالنسبة لي، لماذا لا أبكي في اللحظات الحزينة والقوية كتلك؟ وفي المقابل قد أبكي تجاه تصرف إنساني من طرف شخص معين تجاه آخر أو تجاه فئة معينة، فالإشكال الكبير لا يكمن في فترة الهزة الزلزالية في تلك اللحظة فقط، لكن الأمر أعمق من ذلك بما أننا أمام فترة حساسة وجب فيها على مؤسسات الدولة إعادة إعمار المناطق المتضررة، والأعمق في كل هذا أننا على موعد مع نوعية أخرى من الإعمار والتصميم في هذه المناطق.

وهذه النقطة بالذات فكرت فيها مرارا وتكرارا لأنها مهمة للغاية، لأنه من الصعب جدا إقناع أو تغيير فكر مجتمع محافظ ومتماسك ومتمسك بنوع من الأنماط المعيشية والمعمارية التقليدية العريقة والمتماسكة البنية، وأتحدث هنا عن المجتمع الأمازيغي العريق.

هكذا فكرت وتألمت ليلة الزلزال وما بعدها، وهكذا فكرت وفكرت واستحضرت، لكن حتما سيتغير الوضع لا نفسيتنا كأشخاص؛ لا نمط عيشنا

كبشـر وخاصـة سـكان المناطق التي ضـربها الزلزال، لا فيما يخص تفكير هؤلاء، بل حتى على مستوى النظرة إلى الحاضر والمستقبل، كل شيء تقريبا. فنحن أمام مجال ظل شامخا ومتعاظما وقويا بفضل الدولة التي تراكمت على حكمه وتسييره وخاصة دولـة الموحـدين الـذين كانـت نقطـة انطلاقهم الأطلس الكبير الـذي ظل منبع الماء والغذاء ونقطة اختلاء وزهد المتصوفة في فترة من فترات التاريخ المغربي.

ليلة مرعبة

نادية اوملوك

في ليلة الزلزال المروعة في الحوز بالمغرب، كنت مع عائلتي في منزلنا في الجبل. كانت الأرض تهتز بعنف وسط سحابة كثيفة من التراب والغبار. أول ما فكرت فيه كان سلامة أطفالي وعائلتي.

شاهدت الأشياء تتحرك وتتساقط في كل مكان، وشعرت بأنني في كابوس حقيقي. لم يكن هناك طريقة للهروب من هذا الكابوس سوى الصلاة والدعاء. بعدها، وعندما توقف الزلزال؛

خرجت من المنزل، شاهدت المشهد المروع للدمار والفوضى. كانت البنية التحتية قد تضررت بشدة، مع العديد من المباني المنهارة والطرق المنهارة. كان الناس خائفين ومشوشي الذهن، يحاولون عبثا البحث عن أحبائهم من أجل مساعدتهم.

استجاب سكان المنطقة للحالة الطارئة بروح إنسانية رائعة. تشكلت مجموعات إنقاذ من المتطوعين المحليين والفرق الطبية للمساعدة في إجلاء الناجين والمساعدة في الإغاثة.

كانت هذه المبادرة الإنسانية نتيجة للتعاضد والتضامن في الوقت الذي كان فيه الجميع يحتاجون إلى الدعم والمساندة.

وفي اليوم التالي، قمت بالتطوع في المساعدة والإغاثة وحاولنا إعادة الحياة إلى طبيعتها في المنطقة المتضررة. تعاونتُ مع المنظمات المحلية والدولية ومع السكان المحليين لتوفير المأكل والمأوى، وإعادة بناء المنازل والبنية التحتية.

أنفاس على شفا الانهيار

يوسف الفرساوي

بغرفته وحيدا يلملم جراحه، تشابهت عليه الأيام والألوان، لم يعد يرى إلا السواد، يعلق على جدران غرفته المزركشة آلامه وأحلامه التي تبددت كغيمة خريف تداعبها الرياح، نسي تفاصيل عالمه الخارجي الذي سبب له خيبات صارت عالمه.

لم يغادر غرفته منذ انطلاق عطلته الصيفية التي أعطت إشارات نهايتها، يفكر في كيفية مواجهة الآخر، الآخر الذي أصبحت له فوبيا منه، تشابهت عنده الأيام، لم يعد يميز بين الليل والنهار، متشنج الأعصاب، براكين تثور بداخله، وهدوء يظهر على محياه.

صار سريره ملجأه الوحيد الذي لم يغادره إلا مجبرا للحظات، كل الأعضاء تؤلمه، أنين صامت يخفف به من وحدته، نسي على الكلام من صمته الطويل، يلوم نفسه، ويعاتب الآخر على أحلامه التي استحوذت عليها آلامه.

قرر مرارا وضع حدا لحكاية شاءت الأقدار أن تكتب لها نهاية على عكس ما تشتهي أمواج البحر، كل محاولاته باءت بالفشل كطائر قرر هجران صغاره، لم يعد بالحياة ما يغريه، فشل في التأقلم مع عالمه، نجح في قرار التوديع، كان العالم معاكسا له يرفضه ويرفض رغباته، استسلم في الأخير، ينتظر فقط الفرصة.

استخرج ورقة وقلما، وضعهما على مكتبه ينظر إليهما بشرود فيبتسم، سرح بخياله، وجد نفسه ببستان فسيح، يطارد فتاة أنيقة مرتدية فستانا أبيض، حاملة باقة ورد، يستغرب لهذا السلام الداخلي الذي ألم به، لم يتعود عليه، تمنى ألا يغادر الحلم المستيقظ، كانت أصوات كثيرة تتردد إلى مسمعه " أنا في انتظارك، العالم اللعين لم يعد يرغبك، عجل اللحاق بي."

هدوء يعم المنزل الفسيح، تكسره بين الفينة والأخرى أصوات خارجية، لا حديث بين أفراد الأسرة، الكل منشغل بمهامه، تجمعهم طاولة الأكل أحيانا، ممددا

في مكانه يسمع صوتا يجتاح داخله، لم يترجمه، تعود على الأصوات المارة في عمق الليل، تجاهله كما تجاهل تفاصيل حياته المملة التي أنهكته.

محدقا في الجدار جانبه، يحس بميلانه، ذهابا وإيابا، شعر بسلامه الداخلي يتغير، نهض مسرعا، تاهت به الأقدار، توجه لمغادرة غرفته محكمة الإقفال، مسك في مقبض بابها، يحاول الصياح، نسي الحروف، جف حلقه، يحاول المرور بنظره على تفاصيل الغرفة، بدأت فكرة احتمال هزة أرضية تجتاحه، يرفع نظره لمصباح الغرفة، يراه يتأرج يمينا وشمالا تتأكد شكوكه.

فتح الغرفة ناسيا الخطة التي قرر تنفيذها، حلت محلها إنقاذ أخيه الصغير الذي لا يتجاوز سبع سنوات، النائم بعمق المنزل، استوعب ما يحدث، تجاهل تاريخه الأسود الذي صار أبيضا مع التفكير والتخطيط، وعاش لحظاته.

رفع رأسه للأعلى آلمه عنقه، مرر به للأسفل، عيناه تتسكع بين الأشياء التي تسقط والأخرى التي تتكسر، يسمع أنينها كأضلعه التي تئن في صمت، توجه نحو الدرج للنزول للطابق السفلي إنقاذا لأخيه، يضع قدمه الأولى بأول درج وجده يتأرجح مكانه.

تجرأ ووضع رجله بأكملها، كان للدرج رأي آخر، دفعته على الجدار، سحبت من تحته السجادة، حملق بعينيه كل شيء يترنح مكانه، لطمه الحائط مع الحاجز الحديدي، لم يقو على الصراخ، في الأسفل أهم منه، شعر بقوة الجماد وغضبه.

استمر في النزول ضربت كل أطرافه، لم يستغن عن الحاجز الحديدي، يمسك فيه كرضيع متشبث بثدي أمه، يصل بصعوبة إلى الطابق السفلي، زادت الشقوق التي رآها بحائط أمامه من رعبه، توجه مباشرة لغرفة أخيه وجده بزاوية الغرفة مقرفص الجسد مغرورق العينين، ماسكا جبينه الذي ارتطم بالجدار لحظة الهزة.

سقطت بجواره مكتبة صغيرة لكتب ومستلزمات الصغير، زادت من حدة رعبهما، حضن أخيه، وهما يراقبان المصباح، وجداه مستقرا، تأكد من مرور الهزة،

خرجا مسرعين من الغرفة اصطدما بأبويهما في الممر المؤدي للباب الخارجي، بملابس النوم.

تسابقوا لفتح الباب، اندفعوا للخارج، سمع سجاد صياح بالزقاق أصوات تتردد من كل اتجاه، بعضها لم يستوعبها، تكبير وتهليل، وصياح، يرى الوجوه مكفهرة، تجري أمامه، قاصدة الساحة القريبة، بعضهم بملابس النوم وبعضهم بأجساد عارية، لحظات انعدم فيها البروتوكول، وتراجعت مكانة اللباس، الكل يحملق في المنازل.

الأب الذي تعود على عدم الخروج من المنزل إلا بالبدلة الرسمية وربطة العنق، انكسر كبرياؤه وخرج بصندل منزل وبيجامة النوم، كانت الأرضية أمامهم شبه عارية، استغرقت لحظات حتى تنبهها أمها لمظهرها، التفتت يمينا وشمالا، لم يخطر ببالها الدخول للمنزل، أخذت سجادة مدخل المنزل متسخا، وضعته على خصرها، قطفت ثوبا موضوعا على رأس أمها وضعته على ثديها وجلست تسأل ماذا وقع.

في لحظتها كانت الغالية تلوم نفسها وتندب حظها على مغادرتها للمنزل وترك أموالها، لم ينتبه لكلامها، استغرقوا وقتا ليتنبهوا أنها تتسول فقط، من أين لها هذه الأموال؟

دخل سجاد إلى المنزل على مهل، وسط تنبيهات الأهل والجيران، كانت ثقته بنفسه كالسلام الداخلي الذي شعر به قبل الهزة، لم ينتبه لكلامهم، قصد غرفته وأخذ هاتفه وخرج منتصب القامة، طلب منه الاتصال بمعارف الأسرة، كانت شبكة الاتصال منعدمة وسط خوف وهلع الجميع من انقطاعها.

عادت شبكة الانترنيت، الكل ولج إلى الانترنيت، كثرت الاتصالات وعم الضجيج الأزقة، وكثر القيل والقال من يقول مركز الهزة مدينة قصبة تادلة، ومن يقول مراكش، وآخر يقول بقعة لا يعرفها إلا هو.

دخل إلى أحد المواقع الإخبارية ليجد موقع الزلزال ومعلومات مقتضبة عنه، حاول إيصال الخبر الصحيح وسط كم الإشاعات، كان النعاس يداعب

الصغار، صار التسلل إلى المنازل خفية واحتياطا، تسلل سجاد مرة أخرى استخرج الأغطية والأفرشة التي طلبت منه، وتوجه الجميع إلى ساحة الحي.

فر الجميع إلى ساحة الحي، افترش سجاد وأسرته في زاوية الساحة قرب"براكة" الحارس الليلي، الذي لم يحرك ساكنا، ممددا في سريره، غير خائف من الهزات الارتدادية، فبراكته من ألمنيوم رقيق، حملق في وضعهم، وعرج بنظره على الممددين في الساحة ناطقا:" أظن الطبيعة تساوي بين الناس بين الفينة والأخرى."

صمود أرواح

عبد الغفور مغوار

كان الجو صـــافيا حيث امتدت الســـماء بلا حدود، مزينة بملايين النجوم اللامعة التي ترقب الأرض من الأعالي. الهواء كان يمسـح بلطف على الوجوه، والرياح الضـــعيفة تلمس الأشـــجار بحنان، مما خلق أجواءً هادئة ومريحة تخفف من توتر الحياة اليومية.

كانت المنازل تبدو كمعابد سـحرية في هذا الظلام الليلي، حيث بات ينبض الضوء الدافئ من داخلها كمصدر للأمل في تلك اللحظات المظلمة. الشوارع الخالية هادئة أيضا، فلا صوت إلا صوت همس الرياح.

كان الناس يعيشـــون في هذه اللحظات بســـلام، مســـتمتعين بجمال الليل وهـدوءه، دون أدنى فكرة عن الكارثة التي كانت تتجه نحوهم بخطوات ثقيلة. لم يعلموا أن هذا الهدوء الجميل كان مجرد سكون قبل العاصفة، وأن الأمور ستتغير في لمح البصر.

وفجأة، بـدأت الأرض تهتزّ بقوة تصـــاعـديـة، هزات عنيفـة تجعـل الأرض ترتجف تحت أقدام الناس، وتجعل الســـماء ترتعد في ردة فعل طبيعية لما هو قادم. الأرض أخذت تتلاعب بهم كما تلعب العاصـفة بأغصـان الشـجر، فأحســوا بتلك الحركات الخبيثة تتسلل إلى أجسادهم وتتحدى كل مفاهيم الأمان والاستقرار.

صار الناس يصرخون برعب، وكل صرخة كانت تشبه نداء استغاثة في هذا الظلام المرعب:

-اللهم الطف بنا يا رب، اللهم احمنا !

-أبي ... أبي!

-أمي ! أنا خائف!

-أنقذونا !

كانت ترتفع مثل هاته الصـرخات إلى عنان السـماء، ولكن الأرض كانت تسـتمر في التمايل تحت أقدام القوم. المنازل كانت تبدو كالسـفن في عرض البحر المضـطرب، تتمايل بين الأمواج الهائجة، والناس يحاولون البحث عن ركائز ثابتة في هذا البحر المائج.

وسط هذه الفوضى، سمعت أصوات الجيران يصرخون:

-أنقذونا!

"هل أنت بخير يا أخي؟"

"اصبر واصمد سننقذك".

كانت مثل هذه الكلمات تتداول بين الناس بينما يحاولون مساعدة بعضهم البعض. الأمهات الناجيات تحملن أطفالهن بين أذرعهن، تبحثن عن مأوى آمن، والآباء الناجون يحملون أثقال الأسر ويحاولون توجيه العائلات نحو مكان آمن.

في اللحظات الصـامتة التي تلت الزلزال، كان القوم يتبادلون الحديث بصدمة ورهبة:

" -ماذا حدث؟" سأل أحدهم بعيون ذاهلة.

وكان آخر يجيب بصوت مرتعش:

" -لقد ضربنا زلزال قوي، يجب أن نتحرك، يمكن أن تحدث انهيارات!

بينما شـرع الناس يتحركون بسـرعة، كانوا يتبادلون التحذيرات، يحاولون مساعدة بعضهم البعض للبحث عن أماكن آمنة، وهم يشـددون على أهمية البقاء هادئين:

" -لنبحث عن مكان مفتوح، بعيدًا عن المباني والأشـجار !" قال أحدهم بصـوت حازم.

هكذا، بين الصرخات المستمرة، كانوا يبحثون عن الأمان في هذه اللحظات المروعة، وهم يدركون أن التضـامن والمسـاعدة المتبادلة هما المفتاح للبقاء على قيد الحياة في وجه هذه الكارثة الطبيعية.

أثناء هول المصيبة واستمرار دوي الانهيارات المرعب، تكونت تلقائيا فرق الإنقاذ في المنطقة بسرعة مذهلة، فصار أفرادها يتحركون بين الأنقاض بحذر فائق، وجوههم تعبس من القلق والهم، وكأنهم يحملون أثقال العالم على كتفهم .

صاح أحد أفراد الفريق، صدى صراخه كان يتداخل مع هدير الزلزال المتواصل:

"-هل تسمعون أحدًا؟."

صاح أحد الأعضاء بصوت مليء بالفزع:

" -هناك رجل في الداخل !

وكلما اندلعت صرخة هزت الأرض من أحد المنازل المنهارة، عم الخوف والأمل قلوب المنقذين. بينما الآخرون تجندوا بحزم وإرادة قوية لرفع الأنقاض بحذر شديد، كانوا يعملون بروح الفريق الواحد ويبذلون جهدًا جبارًا لضمان سلامة الطفل الذي يرتعش من الخوف والارتجاف.

" -تمسك بيدي، سنخرجك بأمان"، قال أحدهم بصوت هادئ ومطمئن، محاولًا بكل قوته أن يكون نقطة ثابتة للشيخ المرعوب.

التنسيق كان مثالياً، حيث تعاون الجميع بروح الفريق الواحد، وهم يبذلون قصارى جهدهم لضمان سلامة الناس المحاصرين، يحملون الأمل في قلوبهم ويصرون على أن الحياة ستعود إلى تلك الأماكن المدمرة، بفضل الإرادة والتضامن الإنساني.

بينما كانت الفوضى تتوازى مع الدمار، استأنفت فرق الإنقاذ المكونة من الناجين التدخل بشكل مُنظّم، شرعوا يبحثون عن أشخاص آخرين من بين الأنقاض المتناثرة. كانت هناك صدمة وحزن في عيون الذين يتم انتشالهم، غير أنهم لم يفقدوا الأمل. بل كانوا يبحثون عن الضوء في ذلك الظلام، وسط الموت والخراب. فجأة، تم رصد صراخ صبي تحت الأنقاض. بجهد المتطوعين تم انتشال الرضيع، كان لا يتجاوز عمره بضعة أشهر، كانت والدته الفقيدة تشد عليه بقوة. صار يبتسم ببراءة للأشخاص الذين كانوا يحومون حوله مكبرين بعيون دامعة مستغربين

للمعجزة الربانية. كان بحق علامة على الحياة والأمل في وجه هذه الكارثة، تذكر الناس بأنه حتى في أصعب اللحظات، يمكن أن يشع نور الأمل.

جنان الصالحة

سهر لقماري

كان الجو دافئا تلك الليلة، فاقترحت جدتي أن نفترش وسط الدار، نجوم تلك الليلة شاركتنا فرحتنا بقدوم المولود الجديد، مولود حمل معه الكثير من الخير، فقد حصل أبي على محلول وفير من جنان التفاح، وباعه في السوق الأسبوعي دون مشقة، بل وأحضر معه كبشين أقرنين مليحين، لأجل حفل العقيقة، كانا ثغاؤهما مزعجا كفاية، كأنهما لم يألفا المكان الجديد.

قال أبي أن الأمر غريب، ولأنه كان سعيدا ليلتها، أخرج نايه وبدأ يعزف ألحانا صافية عذبة، طلبت من جدتي حينها، بينما أتوسد حجرها، أن تتم لي حكاية الصالحة وعقيسة الشريرة، بينما ضحك أخي الأكبر من الموقف، فقد كانت جدتي تحكي وأبي يعزف وفرقة الأكباش تغني، فشرع كالأبله يرقص حولنا، ويردد أغنية الجرادة المالحة، منهيا القصة بأسرع وقت، بينما جدتي تنهره لمقاطعتها وإزعاجي :

إنها أختك الصغرى، توقف عن إزعاجنا، أعلم أنك تعرف كل القصة لكن أختك تريد سماع نهايتها مني، ثم لا تنسى، نحن هنا لأن أمك تنام بالداخل رفقة أخيك الصغير، وهي متعبة وتحتاج للراحة، فتوقف عن إصدار الضوضاء .

قلت كذلك:

أما أنا جدتي فأعدك ألا أزعج أخي الصغير ولا أحكي له القصة قبل أن تحكيها أنت له .

عندما اكتشف أمر عقيسة الشريرة، وتم التأكد من أن الولدين الصغيرين هما ابنا الصالحة، عاقبها القاضي أبو مفتاح بتحويلها لجرادة، لكن مكرها دفعها للانتقام وحملت قوم الجراد معها واتجهت به لجنان التفاح لتفسده، لكن الزرزور سمع بخطتها وأخبر القاضي، فرشوا الملح على كل الأشجار، وبذلك تمت إبادة كل الجراد ما عدا عقيسة التي أزالوا أرجلها وتركوها لعقاب الله .

وماذا حصل للصالحة؟

ما كادت جدتي تنبس ببنت شفة حتى اهتزت الأرض من تحتنا، فصرخت الجدة: زلزال، زلزال ...

من شدة ما انسجمت مع القصة ظننت ما حصل لجنان الصالحة كان زلزالا، أو أن عقيسة سحرتهم من الغضب فرجت بهم الأرض، أظن ذلك كان من تأثير النوم علي، فقد كنت على وشك ذلك .

لم نعد نر شيئا فقد انطفأ كل ضوء من شأنه أن ينير طريقنا، كانت جدتي تجرني جرا بينما أخي يبكي خوفا، كنت أحاول التقاط ناي أبي من الأرض لمعزته عنده، فقد أخبرني يوما أنه أول هدية له من أمي حين تزوجها، لأنه وقتها كان راعيا للغنم، ويجيد العزف، وبعد استقراره واشتغاله في الفلاحة بقي يعزف عليه دائما لأجلها، لأنها تحس بالطمأنينة حين تسمعه. لم أكن لأتركه بين قدمي حين رمى به والدي وهو يركض في اتجاه غرفة أمي، لم أعد أر شيئا بسبب الظلام الذي كثفه الغبار الشديد في كل مكان .

اندفع أبي وسط الغبار فاختفى، كانت أمي وأخي الوليد تحت الأنقاض بينما يحاول إخراجهما بيديه، كان يتتبع صوتها تناديه، لكنها كانت تقول شيئا، الكثير من الأشياء، لكنه لم يعد يسمع بشكل جيد، ورأسه يدور من الدوخة بعد أن سقطت عليه حجارة الغرفة المتبقية، ثم فقد الوعي، كانت تقول الكثير من الأشياء، حتى جاءته الصالحة في ثوبها الأبيض تطمئنه أن كل شيء بخير الآن، ثم سألها: زوجتي كانت تقول شيئا ...

أجل، كانت توصيك أن تعتني بالجميع، وتطعم الجميع من حق العقيقة، ولا تمتنع عن العزف بنايك العذب .

مع وصول فرق الإنقاذ، وخروج شمس لا يناسب إشراقها ظلام الحزن المخيم، تمكن المنقذ من إيجاد والدي وإخراجه، لكنه لم يكن يتحرك، فبكيت بحرقة ظنا مني أنه ميت، لكن المنقذ البشوش، ابتسم في وجهي بأمل وخاطبني بابتسام:

لا تبكي صغيرتي، انظري، والدك حي يرزق، إنه فقط متعب، وسنسعفه ليستعيد عافيته .

كان كلامه لا يترجم ما ترى عيني، دماء على وجه والدي وشعره، ووجه ملطخ بالتراب الندي غطوه ثم اخرجوه محمولا برفق، واخذوه على وجه السرعة للإسعاف .

بقيت واقفة انتظر، واقفة وكأني أساعدهم بما أوتيت في قلبي من الرغبة في إيجاد المزيد من الأحياء، عيني على مخرج المنقذ، خرج بعد زمن، لكن وجهه لم يكن بشوشا هذه المرة، ولم أبك كالمرة السابقة، بل بقيت انتظر الخبر من فمه المبتسم .

هل وجدت أمي؟

أمه عزيزتي ربما جاء منقذون آخرون سبقونا لإخراجها، هي تتنعم بالحرية ونحن نبحث هنا! اذهبي لترتاحي صغيرتي، حتما أمك تنتظرك في الجنان .

لم أفهم كثيرا مما قال، لكن ابتسامته سيطرت بسحرها على حيرتي، لقد كان يشبه القاضي ابو مفتاح، صاحب الحكمة .

قامت جدتي بجري من يدي باكية، لكنني شرعت في طمأنتها، أن ابنها حي، وأن امي وأخي أحياء سبقونا للجنان .

كنت أرغب بشدة الذهاب لجنان التفاح، لكنهم منعوني بسبب الفوضى التي حصلت في كل مكان .

صنعوا لنا خياما، اتكأت في حجر جدتي، بينما أخي يغازل ناي والدي محاولا تقليد عزفه، نهرته بقسوة وانتزعته من يده، لكنه على غير عادته لم يبادلني القسوة هذه المرة. التفتت عند جدتي أكفكف دمعاتها، وسألتها:

هل أنهيت جدتي الحكاية؟

أجابتني:

انتهت الحكاية بنيتي، لكني أعدك أن نحكي حكاية أجمل هذه المرة .

عاد أبي مســاء ورأســه مغطى بالضــماد، واقفا على قدميه، منهك القوى، دخل خيمتنا الصغيرة كأنه الأمل، عانقته بقوة، وأخبرته الخبر السعيد:

أبي، أمي حية، وقد تم إنقاذها، وهي الآن في الجنان، غدا نذهب لنحضــرها، وخذ نايك ابي، لقد اعتنيت به لأجلكما .

أخذه وعانقني بدوره، التفت لجدتي مســتغربا، لكن حركات وجهها كانت كافية لتجيبه كل الإجابات .

عزف أبي تلك الليلة عزفا رائعا، فحلمت أمي تتجول بين أشــجار التفاح، تداعب عصـفورا صـغيرا وتبتسـم من السـعادة، كانت تشـبه الصـالحة، تماما، فقد تخيلتها منذ البداية تشبه أمي .

تنمل؛ انهيار الأحجار وصمود الآثار

إدريس النعيمي

متوغلا عميقا نحو أعالي جبال الأطلس المغربية، استقر مهدي الموحدين محمد بن تومرت بعد رحلة إلى الشرق كانت مليئة بالعلوم الدينية والأسرار العجائبية، حيث نهل من مدارس البصرة وصاحب لمدة من الزمن المتكلمين والمعتزلة، وناظر كبار الأئمة في شؤون الأمة، وها هو يعود لمسقط رأسه بغير تلك الأفكار والأهداف التي غادر بها أرض المصامدة.

فقد أدرك أن امبراطورية المرابطين لم تعد كما كانت متماسكة عهد الأمير يوسف بن تاشفين، غلا فيها فقهاء المُلَثَّمِين، وتشددوا في أمور الدين، واعتقد ابن تومرت أنهم بهذا الغلو قد جاروا على المسلمين، فما كان منه إلا أن اتخذ زاويته هناك بقرية تنمل، حيث نظم جماعته بالجبل، قبل أن يزحف بجيوشه نحو السهل، ومن مسجد تنمل هذا كان المنطلق لأقوى إمبراطورية عرفها تاريخ المغرب قديمه وحديثه.

عجز ابن تومرت وجماعته التي أسماها بالموحدين عن تحقيق نصر حاسم على جيوش علي بن يوسف فكانت المواجهة سجلا بينهما، وسرعان ما رحل ابن تومرت بعد هزيمة معركة"البحيرة"، ليترك الأمر لتلميذه عبد المومن الكومي الذي تفتقت عبقريته العسكرية، فكان أن دخل مراكش وأنهى الحكم المرابطي بها وبالمغرب معلنا عن صعود نجم الدولة الفتية، بل إنه أسس جيشا جرارا وصل به الأندلس شمالا إلى حدود برقة شرقا.

لم ينس عبد المومن شيخه، بل شيد على ضريحه مسجد تنمل بعدما وسع الجامع الأول الذي كان معدا للصلاة، بناه في حدود العام ألف ومائة وثلاثة وخمسين للميلاد، جاعلا منه منارة عجيبة في البناء، وتحفة فنية شيدت على مقاص المرتفع الجبلي بعد أن استقدم أمهر بناة مراكش لهذا الغرض، كان عبد المومن يدرك أن هذا هو منطلق الدولة فعليه أن ينمقه ويبدع في بنائه ويبالغ في الهندسة والتزيين، وذلك حتى يتلائم وعظمة دولة الموحدين.

وحتى لما هبت رياح النهاية على هاته الإمبراطورية العظيمة، وطواها التاريخ من على الوجود على يد بني مرين، ظل مسجد صامدا في وجه عوادي الزمن، يحاكي الزمن بافتخار، كما ظل شاهدا على ما شيده الموحدون من عظيم الآثار، ثم فجأة تحركت الأرض بعد طول استقرار، مخلفة رجة مدمرة كانت أولى مشاهدها تحرك الكتبية-أخت تنمل-حيث تمايلت يمنة ويسرة وهي تمتص أولى ضربات زلزال الحوز الرهيب، ولما استفاقت منارة الموحدين تلك وهي معافاة من شر الفناء وجدت مسجد تنمل العريق قد استسلم للارتداد عجز معه أن يستفيق.

هنا كانت الجغرافيا قاسية على تنمل، فالزلزال كانت بؤرته على مقربة من مسجد الجبل، أربعة كلمترات هي المسافة الفاصلة بين موقع الهزة العنيفة ومسجد ابن تومرت، فتهاوت أحجاره البُنِّية اللون، وتصدعت صومعته فأطبقت في سكون، وبدا أن تنمل قد استسلم لهول الارتداد، حجارته البديعة التي ظلت متماسكة لقرن فملأت الواد، وبعدما يقارب التسعمائة عام في الوجود، بدا أن تنمل لم يعد موجود...فإذا البناء غير البناء، وإذا الخراب قد جثم على السفح والجبل حيث كان تنمل يلامس بافتخار مجده بكل كبرياء.

إن مسجد تنمل لم يكن الاستثناء، فقد أصاب الزلزال أهل المغرب أرضا وبناء وإنسانا على السواء، هوت المساكن على أهلها في ذلك الليل البهيم، وخيم الصمت المطبق بعد ثواني من زلزلة الأرض، فكان لا بد مما ليس له بد...سارع المغاربة إلى مساعدة المنكوبين، الكل يقدم أقصى ما يملك من تبرع بدم أو ثياب أو غذاء للمحتاجين، فأدهش هذا الشعب كل العالم الذي وقف مندهشا من تضامن لن يكرره التاريخ في أي بلد في العالمين، لقد كانت صور التضحية شاهدة على شعب عظيم هب بشكل فجائي للنجدة وتقديم يد العون، وسطر هذا الشعب الأبي رفقة ملكه ملاحم خالدة ستكتب لا محالة بماء الذهب.

والآن بعد أن سارع المغرب إلى إعادة البناء، ووصلت المساعدات إلى من يحتاجها بفضل سواعد الفضلاء، وعوضت الخيام ما ردمه الزلزال من بيوت ومساكن، آن الأوان لأن نلتفت لتنمل المفجوع، لنعيد له بريقه الضائع، قد كان إلى حدود ليلة

الجمعة التاسع من شتنبر من العام ألفان وثلاثة وعشرون قلعة تصارع الزمن فتصمد تحت ضرباته، إلى أن حل القدر فهوى بنيانه، لكن المغرب لن يتخلى عن معلمته هاته، فبعدما سجله سابقا ضمن التراث العالمي للآثار، هاهي اليونسكو تعلن نيتها في إرسال وفد يقيم ما لحق بتنمل من أضرار...التفاتة من شأنها أن تعيد لمسجد المصامدة الحياة، وإنه بما تبقى من صومعته لينظُر إلى تشييد مجدد وانبعاث.

عزاءٌ لا ينتهي

سميرة طويل

تَغَرّبتُ... لكنّ في غربتي

من الموتِ أنشودةً تَلْسَعُ

يطولُ التَّأمُلُ في لحنِها

ولا تَنْتَهي إثْرَها الأدْمُعُ

أنا شَهقةُ الموتِ في مَهْجَرِي

مُبَعْثَرَةٌ، خانَنِي المَطْلَعُ !

ومَكْسُوْرَةُ الرُّوحِ يا مَوْطِني

ومَذْبُوْحَةٌ، ما جرى مُفْزِعُ!

لِمَنْ سأغَنّيكَ؟ في مُهْجَتِي

ضَحايا يَنُوحونَ، مَنْ يَسَمَعُ؟!

وفي خاطِري ضَجّةٌ سالَ مِنْ

ملامحِها الواقعُ المُوجِعُ

لقدْ مَسَّكَ الضرُّ في غُربتي

فهلْ أتَقَدَّمُ أمْ أرجعُ!؟

وهلْ أتألّمُ أمْ أنطوي

على نفسيَ؟ الحزنُ: هلْ يَشْفَعُ؟

لِمَنْ سأغنّيكَ يا باكِيًا

لَيَالِيهِ فِي المَوتِ لا تهجَعُ

وأهْلُوهُ مَوْتَى كأحلامِهِمْ

وأثقالُهُمْ فيهِ لا تُدْفَعُ

عزائي لِنْفسي كبيرٌ، أنا

أيَادٍ إلى خالقي تُرَفعُ

عزائي لِأهليَ لا ينتهي

وعيني عنِ الدّمعِ لا تُقْلعُ

لِأنّكَ يا موطني داخلي

نبيٌّ بآهاتِهِ أخشعُ

زَرَعتُ مَآسيكَ فِي مُهْجتي

وها أنا آكلُ ما أزرَعُ

لقدْ أشرقتْ مِنْكَ شمسُ الأسى

وقامتْ قِيامَتُكَ الأرْوَعُ

و "زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها"

فَكُلُّ الكَراماتِ لا تَنْفَعُ

فلا بأسَ، لا بأسَ يا مَغْرِبًا

يَضُمُّ المَنَايا التي تطلعُ

ويا شاهقًا في جِراحاتِهِ

قَصَائدُ لِلموتِ لا تَخْضَعُ

ويا جبلا بينَ أضْلُعِهِ

لنا مِنْ جراحاتِنا أضْلُعُ

ويا راحلًا في حقائبِهِ

لنا مِنْ غَرَاباتِنا مرجعُ

غدًا تزهرُ الأمنياتُ التي

رَسمتَ، وتحظى بما تطْمَعُ

الفهرس

الطفل بلعيد ... يا بني أريدك أن تكون مهندسا يوما ما..... 4

هكذا شعرت بالزلزال..... 6

عروس موقوفة التنفيذ 8

زفرة الأرض 9

موعد مع الزلزال 11

بقي وحيدا 14

زلـزلات..... 15

زلزالُ درجةٍ ضعيفة 18

زلزال 22

في أحضان العمارة المرتعدة ليلة الزلزال 25

ليلة مرعبة 31

أنفاس على شفا الانهيار 32

صمود أرواح..... 36

جنان الصالحة..... 40

تنمل؛ انهيار الأحجار وصمود الآثار..... 44

عزاءٌ لا ينتهي 47

قصص من وحي زلزال الحوز	
الطفل بلعيد ... يا بني أريدك أن تكون مهندسا يوما ما.	عمر لوريكي
هكذا شعرت بالزلزال	عبد العالي بركات
عروس موقوفة التنفيذ	عمر لوريكي
زفرة الأرض	ليلى الخمليشي
موعد مع الزلزال	عبدالإله ماهل
بقي وحيدا	عمر لوريكي
زلزلات	خالد جبور
زلزالُ درجةٍ ضعيفة	حفصاء عمراوي
زلزال	هشام أجران
في أحضان العمارة المرتعدة ليلة الزلزال	نور الدين أيت وشن
ليلة مرعبة	نادية اوملوك
أنفاس على شفا الانهيار	يوسف الفرساوي
صمود أرواح	عبد الغفور مغوار
جنان الصالحة	سهر لقماري
تنمل؛ انهيار الأحجار وصمود الآثار	إدريس النعيمي
عزاءٌ لا ينتهي	سميرة طويل

قصص من وحي زلزال الحوز

الطفل بلعيد...	عمر لوريكي
هكذا شعرت بالزلزال	عبد العالي بركات
عروس موقوفة التنفيذ	عمر لوريكي
زفرة الأرض	ليلى الخمليشي
موعد مع الزلزال	عبد الإله ماهل
بقي وحيدا	عمر لوريكي
زلزلات	خالد جبور
زلزالُ درجةٍ ضعيفة	حفصاء عمراوي
زلزال	هشام أجران
في أحضان العمارة المرتعدة ليلة الزلزال	نور الدين أيت وشن
ليلة مرعبة	نادية اوملوك
أنفاس على شفا الانهيار	يوسف الفرساوي
صمود أرواح	عبد الغفور مغوار
جنان الصالحة	سهر لقماري
تنمل: انهيار الأحجار وصمود الآثار	إدريس النعيمي
عزاءٌ لا ينتهي(قصيدة شعرية)	سميرة طويل